قضية الغموض في الشعر العربي المعاصر

الدكتورة : كلفالي سميحة
جامعة محمد خيضر - بسكرة (الجزائر)

تمهيد :

عمل كثير من الشعراء العرب المعاصرين على تأسيس شعر جديد ، فانطلقوا من الثورة على مفاهيمه القديمة والانقلاب على الأساليب المتوارثة في نظمه متجاوزين منطق التقليد والاجترار وقيم الثبات والوضوح ، فلغة الشعر لا تعبر ولا تصرح ولا تصنف ولا تبوح وهذا هو مصدر غموضها .

يعد الغموض ظاهرة فنيّة ميزت الشعر بعد النصف الأول من القرن العشرين عندما بدأ التجديد ، فأصبح الشعر الجديد يمثل اتجاها جماليا يختلف عن اتجاه الشعر القديم ، بل ربما وقف منه موقف النقيض ، فكان الشاعر القديم ينطلق من معانٍ واضحة وأفكار جاهزة ويقوم بصياغتها ،

فالعالم الجديد الذي يعيش فيه الشاعر اختلطت قيمه وتضاربت ، وأطل على الإنسانيّة شبح القلق وعدم الاستقرار ، لذلك لم يجد فيه قيما ثابتة يعتمد عليها ، فآثر الغموض ليعكس به انقلابا في التجربة الشعرية .

يرتبط الغموض في الشعر بالانتقال من طرق التعبير السائدة إلى طرق أخرى مغايرة ، وهذا الانتقال قد يحدث في أي عصر وفي أي أمة ، لذلك فالغموض ليس ظاهرة جديدة في الشعر العربي إنما نجده حتى في الشعر القديم ، فأبو تمام حين أحدث تجديدا في الشعر العربي في العصر العباسي عُدّ غامضا ، غير أن ذلك ص بشعره وشعر قلة من معاصريه ، لذلك لا نعده قضية كما في الشعر المعاصر.

تباينــت مواقــف النقاد والشعراء المعاصــرين من قضية الغموض ، بين من اعتبره سمة جمالية لا تتحقق شعرية النص دونها ومن رفض ذلك فهو عنده ليس معيارا للحكم على شعرية النص أو براعة الشاعر ، وقد برز خاصة عند شعراء الحداثة من خلال استعمالهم المغاير للغة الشعرية وتشكيلهم الجديد للصورة الشعرية .

إشكالية البحث :

- **ما هي خصائص كل من اللغة الشعرية والصورة الشعرية في الشعر العربي الحداثي ؟**
- وكيف تجسد الغموض على مستواهما ؟
- **ولمَ تباينت مواقف النقاد والشعراء المعاصرين من قضية الغموض ؟**

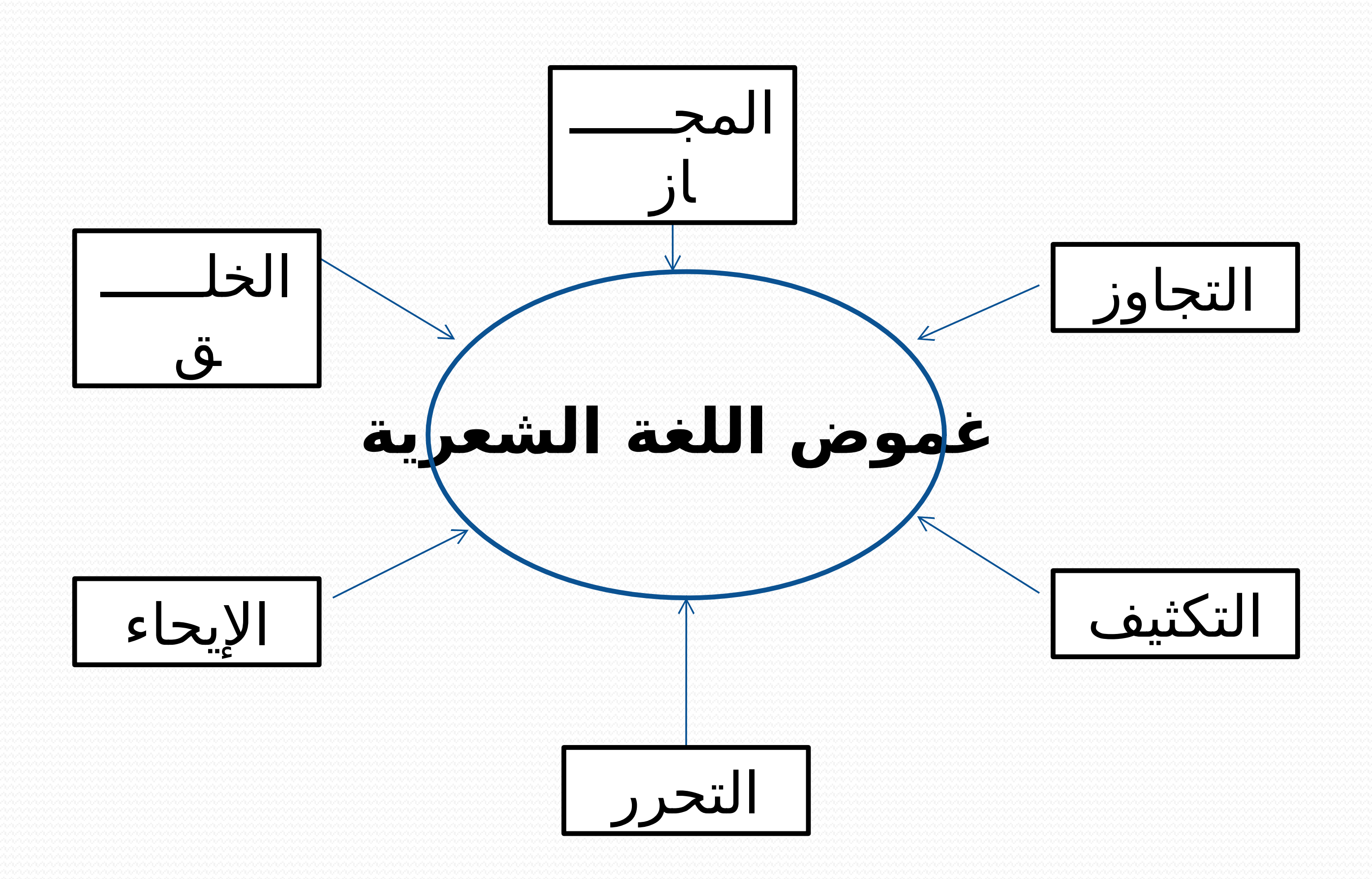
محاور الدراسة :

- الغموض على مستوى اللغة الشعرية
- الغموض على مستوى الصورة الشعرية
- موقـف النقاد والشعراء المعاصـرين مـن قضية الغموض

الغموض على مستوى اللغة الشعرية:

برز الغموض في لغة الشعر العربي الحداثي نتيجة :

- المجاز
- التجاوز وخلق علاقات جديدة
- التحرر من سلطة المعجم والتعابير المتوارثة
- التكثيف اللغوي
- الإيحاء


المجــــــاز
الخلــــــق
التجاوز
غموض اللغة الشعرية
الإيحاء
التكثيف
التحرر

نماذج عن الغموض في اللغة الشعرية :

يقول أدونيس :

كَم قُلتُ جِئْتُ بلا طُقُوسٍ
ووَهبتُ نفسي للجُمُوح، لِكُلّ رَفْضٍ
كم قلتُ: أخرقُ هذه اللغَةَ الأمِينَةَ للأُصولْ
أَرُجُّ قاعدةَ الأصولْ

يعلن أدونيس مشروعه الشعري القائم على رفض التقاليد المتوارثة في نظم الشعر وتجاوزه للغة الشعر القديم فسمتها الوضوح في حين أنه يريد لغة غامضة عصية على الفهم ، يقول :

شهواتي

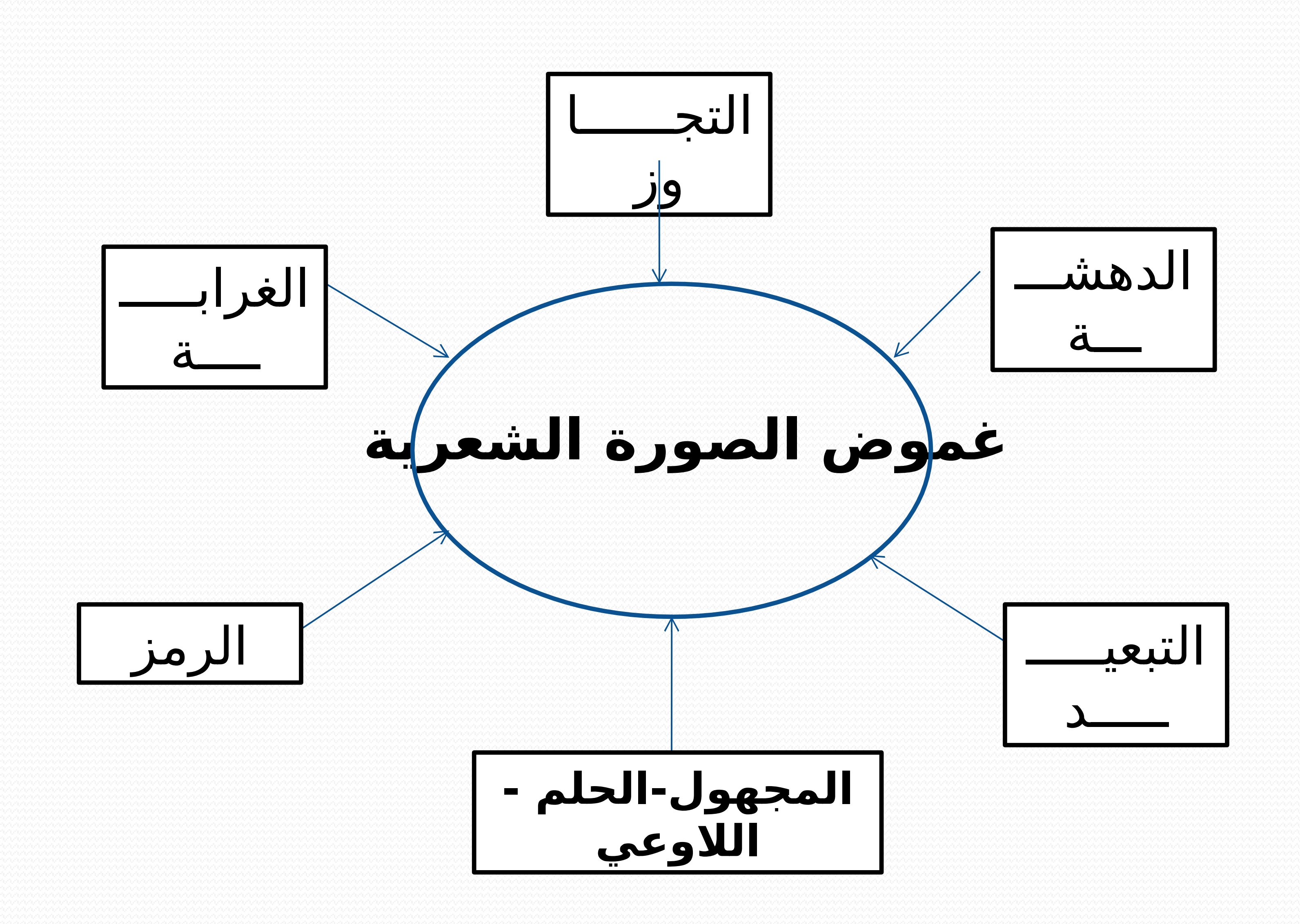
أن أظل الغريب العصي

وأن أعتق الكلمات من الكلمات

الغموض على مستوى الصورة الشعرية:

تتميز الصورة الشعرية الحداثية بخصائص تجعلها غامضة ، تتمثل في :

- التبعيد الذي يجعلها قادرة على تكوين علاقات وتوليد دلالات مكثفة ويضع المعنى موضع الاحتمال .
- الدهشة والغرابة ؛ إذ تؤسس لعلاقات بين عناصر وأشياء قد لا توجد بينها علاقة إلا في خيال الشاعر.
- تنطلق من المجهول واللاوعي والحلم .
- التجاوز ؛ إذ تتجاوز حدود الصورة الشعرية القديمة – دون أن تغفلها - وتؤسس لأشكال جديدة .



التجـــــا
وز
الغرابـــــ
ـــــة
الدهشـــ
ـــة
غموض الصورة الشعرية
الرمز
التبعيـــــ
ــــــد
المجهول-الحلم -
اللاوعي

نماذج عن الغموض في الصورة الشعرية :

ابتدع عبد الوهاب البياتي أسلوبا جديدا في الشعر وهو التعبير بالصور الشعرية ، ليبتعد بأسلوب القصيدة عن اللغة التقريرية الجافة ، وتعد قصيدة المغني والقمر من أكثر القصائد التي عبر من خلالها عن هذا الأسلوب الجديد ، يقول :

رأَيْتهُ يلعبُ بالقلوبِ واليَاقُوت
رأيْتهُ يموت
قميصُهُ ملطَّخٌ بالتُّوت
وخِنجرُ في قلبِهِ
وخيطُ عنْكبوت
يلتفُّ حول نايِه المُحطَّمِ الصَّموت
وقمرٌ أخضرُ في عيونِهِ
يغيبُ عبر شرفاتِ اللَّيلِ والبيوت
وهو على قارعةِ الطَّريقِ في سكينةٍ يموت

عمــد شعراء الحداثــة إلــى شحــن الصــورة الشعرية بالرموز ليتسع أفق الدلالة في النص الشعري ، إذ يضفي الإيحاء الرمزي دلالته الخاصة على السياق الذي ترد فيه الصورة الرمزية ، وقد يتخذهــا الشاعــر قناعــا للتعــبير عــن أفكاره ومعتقداته ، يقول عبد الوهاب البياتي في قصيدة أبي زيد السّروجي :

كان يغنِّي
عندما أغار هُولاكُو على بغداد
وغُلِّقت في قلبِ مدريد وفي أبْوابها الأعْواد

يرمز الشاعر إلى انحطاط النفس الإنسانية من خلال رمز أبي زيد السروجي (بطل مقامات الحريري) الذي استمر في الغناء رغم هول الحادثتين (سقوط بغداد

موقف النقاد والشعراء المعاصرين من قضية الغموض

تباينت مواقف النقاد والشعراء المعاصرين من قضية الغموض في الشعر ، ويمكن تصنيفهم حسب ذلك إلى ثلاثة فرق :

- فريق رفض غموض الشعر فهو مع البساطة والوضوح .
- فريق اعتبر الغموض سمة فنية في الشعر وهو عنده مرتبط بالإيحاء .
- فريق بالغ في الغموض ، إلى درجة أصبح معها الشعر عصيا على الفهم وغير قابل للتأويل .

أهم النتائج :

- يعد الغموض من أبرز قضايا النص الشعري العربي المعاصر ، فرغم وجوده في الشعر القديم إلا أنّنا لا نكاد نعثر عليه إلاّ في شعر قلة من الشعراء .
- يرتبط الغموض بشعر الحداثة الذي أعلن ثورته على المفاهيم القديمة وانقلابه على الأساليب المتوارثة في النظم متجاوزا منطق التقليد والاجترار وقيم الثبات والوضوح .
- يبرز الغموض في القصيدة الحداثية على مستوى كل من اللغة الشعرية والصورة الشعرية .
- لغة القصيدة الشعريّة الحداثية لغة مجازية لا تُعبِّر ولا تُصرِّح ولا تُصنِّف ولا تَبوح وهذا هو مصدر غموضها .

- إن التشكيل اللغوي المتميز في شعر العربي الحداثي القائم على التجاوز بخرق قواعد اللغة وتحرير الكلمات لتقيم علاقات جديدة ، جعله غامضا ومكثفا بالصور الشعرية .
- تتميز الصورة الشعرية الحداثية بالدهشة والغرابة والتكثيف ، وإغراقها في اللاوعي والحلم والمجهولة ، ما يجعلها غامضة .
- رغم بروز الغموض في الشعر العربي المعاصر ، إلا أن مواقف الشعراء والنقاد